

عبد اللطيف البرغوثي: أباً وصديقاً

مجلة التراث والمجتمع العدد 42 - زاوية أعلام فلسطين - سميرة وسلوى عبد اللطيف البرغوثي - 2006/06/20م - 11:00 ص



يعرفه الناس بالدكتور عبد اللطيف البرغوثي أما المقربون منه من الأصدقاء والأدبيين "بأبو سامي" ولكن أنا أعرفه بالأب،
والصديق، والمرجع، ومنار المعرفة.

عندما أنت في مراحل الدراسة الثانوية وحتى من قبل ذلك أنت أتوجه له لمساعدتي في إيجاد معنى من الإنجليزية إلى العربية
فيساعدني قائلاً: "استخدمي هذا المرجع أو ذلك من مكتبة العائلة..."، أنت أمتعض لأنني أردت أن أحصل على الجواب وبسرعة
ولكنني أقدر الآن مدى صعوبة تطبيق ذلك على أولادي أسلوبه علمني آيف آاون باحثة وعلمي آيف أحل مشآلي وآيف أجد
الأجوبة لتساؤلاتي، علمني الاعتماد على النفس.

في إحدى المرات طلبت منه أن يكتب لي في آتبي الخاص بالآريات، فكتب أعذب الكلام وختمه بقوله: "يا ابنتي لقد رببتك أن
تكوني ورثة جوربة ولكنني أبقبت أشوآك حولك لتحميك"، آيف أشكره على ذلك؟! وهذا لا يعادل نقطة في بحر المعرفة التي
زودني بها.

وإذا لم تتوخ الحذر في أثناء الحديث وقعت في شر أقوالك، ثم يطلق هو ضحكة منتصرة فدهه وأفتق منتهى اللذة وتفويض

بالحنان، ثم تزداد عيونه بريقاً من شدة الضحك أحببته وأحب ذلك في بشدة!

أنا أطفالاً، وتتراوح أعمارنا بين الثالثة والسبعة عشر عاماً، وإذا جلسنا على مائدة الطعام، آن لا بد من أن يطرح والدي حزيرة

أو سؤالاً عن ظاهرة طبيعية أو سؤالاً لإثارة مقدرتنا التحليلية، وأذآر آيف أنت أسارع تفكيري لأصل للجواب وآيف آن هو

مبتسماً محاولاً توجيهي لاستخدام التفكير النقدي التحليلي.

آن يعطي، ويعطي، ويعطي فلم يبخل علينا لا بالمال، ولا بالفكر، أو بالنصح والوعظ وآن يفرط في منحنا الحب والحنان.

أذآره عندما تحدث عن والدتي بوجودها أو غيابها. آن يذآر أيام الشباب وأيام ولعه بوالدتي وبضيف آيف أنه أبدأ مولع بها، حتى

أنه يستذآر آيف أنت تصفف شعرها مستخدمة إحدى مرابط الشعر المزخرفة فينذآرها بالتفصيل وبيبتسم وآن دائماً يذآر أمي بأيام

الشباب عندما أنت تحمل الجرة على رأسها وتمشي بها رافعة العنق للأعلى آن يتذآر آل ذلك حتى في الأيام القليلة السابقة لوفاته

في سنة ٢٠٠٢، ذلك اليوم، السابع من أيار ٢٠٠٢، آن حزينا وسيبقى حزينا.

آن والدي يحب الحيوانات الأليفة وقد آن لدينا قطة سيامية أنت قد أنجبت ثلاثة هرر، وآن شتاء قارساً رغم وجود المدفأة في

غرفة المعيشة وأذآر والدي يرتدي الروب الشتوي ويضع الهررة في الداخل ليوفر لها الدفء ويداعبها فتدخل الهررة سعيدة وتطل

برؤوسها من فتحة الروب عند الصدر.

آن دائماً يحثنا بناتٍ وصبياننا عن أهمية طلب العلم، واستخدام أسلوب التفكير العلمي وعدم قبول نوعية العمل التي تقل عن الإبداع

ولكن آن يحث البنات وبشدة على طلب العلم آن يريد البنات أن تأخذ دورها أقيادية وأمربية وأم.

عندما أنهيت دراسة البكالوريوس من جامعة بيرزيت، وبدأت بتقديم الطلبات للدراسات العليا في الولايات المتحدة وآل ذلك بتوجيهه

وتشجيعه، ثم حصلت على القبول لدراسة الكيمياء الحيوية، في دائرة الكيمياء، وحين ذاك تساءل والدي قائلاً: "هذا يحتاج لتخصص

آيمياء وأنت تخصصك أحياء... هل بإمكانك التحويل بهذا الاتجاه، والإبداع؟! فنظرت إليه وبدون تردد أجبت "أست أبنة الآاتور



عبد اللطيف البرغوثي؟" وحتى اليوم أذآر ابتسامته الدافئة التي تلت إجابتي مآزال استذآاري لتلك الابتسامة يذفي صدري وأجد الدموع تتساقط بغزارة.

والآن سأترك الحديث لأختي الصغرى سلوى لتقص علينا بعضا من ذآرياتها: تعود بي الذآريات إلى بدايات وعيي بالدنيا فأتذآر الأحداث الأولى عام ١٩٧٠ وأنها نوع من أنواع السراب، حيث يذهب والدي وإخوتي وأخواتي الكبار إلى العمل أو المدرسة وأبقى مع والدي في البيت حيث تبقيني بقربها وهي تقوم بالأعمال المنزلية المختلفة، وعند موعد الفطور تتحايل علي بكل الأساليب من أجل أن تتآد من حصولي على آمية الغذاء الضرورية، وبعد ذلك تقص علي قصصا تراثية أحبها، وبعد ذلك آنت تلاعبني بألعاب مختلفة آنت أحبها، وعندما يحين وقت وصول والدي من العمل والإخوة من المدرسة، تقول لي هيا لنعد مائدة الغذاء، فتنهض وتذهب إلى المطبخ، وأسارع إلى الشباك المطل على الشارع، بانتظار وصول والدي من عمله في جامعة طرابلس - ليبيا، وعندما تقف السيارة على باب المنزل أفقر من مكاني وأطلق لملاقاته حيث يحضنني ويطبع قبلة على وجنتي، وأبآره بالسؤال ماذا أحضرت لي، فيخرج من جيبه علبة الحلوى المفضلة لدي ويطلب مني بابتسامته المليئة بالحنان والحب، عدم فتحها والأل منها، إلا بعد الانتهاء من تناول الغذاء، ويدخل البيت ويلقي التحية على والدي ويضع المشتريات التي معه في المطبخ، ويبآر والدي ملاطفا لها وقائلا: "آيش سويتيلنا للغدى يا خذّوجتي"، ونجلس إلى المائدة جميعا ونتناول الغذاء وآنت أجلس قريبة من أمي حتى تساعدني في تناول آلي إذا آن هناك حاجة لذلك، وبعد ذلك يناديني "تعالى يا طرزآنة، أي قصة بدنا نحكي اليوم؟" ونذهب أنا ووالدي حيث سيأخذ قيلولآ بعد الظهر فيحضنني ويروي لي من القصص ما أحب مثل: نص نصص، ستنا الغولة، جزار بيضة على النتنش، وآنت المفضلة لدي وعندما يغلب النعاس والدي بسبب حرارة الجو في طرابلس والتعب طوال النهار في عملية تدريس الطلبة في الجامعة في آلية التربية، أنسل من جواره تآرآة آياه ليرتاح.

وأتذآر موضوع ذهابي إلى المدرسة للصف الأول الابتدائي، وبما أن المدارس الحكومية في ذلك الوقت لم تكن بالمستوى الذي يفتنح به والدي في تأسيس اللبناآ الأولى من طلب العلم فقد وأوصلني إلى المدرسة في اليوم الأول، Tripoli College قر والدي تسجيلي في مدرسة وسعدت بمدرستي وبمدرستي حيث آنت جميلة شقراء ذات شعر طويل وصلت في اليوم السابق من بريطانيا، وآنت تعلمنا بطريقة تختلف، فكانت تترك لنا مجالا للتجربة والتعلم من الخطأ ومناقشة آل ذلك معها حيث آنت تحترم



فكرنا أطفال صغار ولا تعارض بترأنا للدرس والذهاب إلى الجزء الخلفي من غرفة الدراسة واللعب بالألعاب حيث آنت بعد ذلك تستفيد من مناقشة ما قمنا باللعب به معنا حتى يتحول اللعب الممتع إلى درس راسخ في عقولنا، ولكن لم تطل الأيام وقبل نهاية العام الدراسي بقليل قامت الثورة الليبية وتم قلب نظام الحكم في ليبيا وأغلقت مدرستي الحبيبة، وأجبر والدي على نقلي إلى مدرسة حكومية لعدم توفر غيرها. وعدت لأتعلم مذاق مسطرة المعلمة على يدي، ولأفزع من مكاني نتيجة صوت المعلمة وهي تصرخ، وعدت لأجلس على المقاعد المكسرة مع الأعداد العالية من الطلبة في الصف، ناهيك عن أن المعلمة آنت خريجة الصف السادس الابتدائي!!!، وهنا جاء دور والدي حيث آن يتابع دراستنا جميعا، وبما أنني آنت في بداية المرحلة التأسيسية فقد آن والدي لحبيب يفرغ لي من وقته الكثير ويجلسني في غرفة الضيوف، ويتبع معي برنامجاً دراسي من قراءة وآتابة الأحرف العربية إلى آتابة وحل المسائل الرياضية، ودراسة العلوم وحفظ الدين، وخاصة السور القرآنية، وبما أنه آن من الصعب علي قراءتها وحدي فقد آن يقرأها لي ويساعدني على حفظها، ولتأيد ذلك آن يسجلها لي على أشرطة التسجيل ويطلب مني أن أستمع لها وأقرأ مع صوته، وبهذه المساعدة اجتزت تلك الفترة الصعبة، حيث تلقيت مع الدراسة الدعم والحب والحنان والعطف.

وهنا تعودني ذآرى أمور آثيرة تعز على قلبي، ويزداد نبضه بسببها، ففي ذلك اليوم ١٩٧٥ ، حيث ذهبت مع أمي إلى سوق مدينة المنامة - البحرين، وآنت أيامها في ٠٩/٠٦/ الصف الرابع الابتدائي، وأصريت عليها أن تتبآع لي آتيب ذآريات صغير من ذوات الأوراق المزينة برسومات الورود ومغلف بصورة منزل راسخ في سفح الجبل، وعندما وصلت البيت سعيدة بما ابتعت، وعندما عاد والدي إلى البيت من العمل رآضت إليه وهو يستعد للجلوس إلى مائدة الطعام، وأصريت عليه أن يكتب لي من أجل الذآرى، فقال: " طيب بس بعد الغدا"، فقلت له: "لآ، لآ، هلقيت"، فابتسم ثم ضحك ضحكة لذيذة وقال: "طيب هاتي يا قريد العش"، فذهبت إلى حجرتي وأنا أفقر وأتمايل وأرقص ضفيري شعري، التي آن يناديني والدي نتيجة لتصنيف شعري بهذه الطريقة "بغمتي"، فأرد عليه قائلة: "ماعمع"، وعدت من حجرتي بنفس الطريقة أحمل آتبيبي سعيدة به وناولته لوالدي فتصفحه وقال، هذا آتيب جميل وسأفتحه لك بعبارات جميلة، وبدأ يكتب:

١٩٧٥ المنامة - البحرين / ٠٩/٠٦

تسألني سلوى إن آنت لا أهوى

فقلت يا حبيبتي أهواك يا سلوى



أهواك يا عصفورتي في الجهر والنجوى

يا قرّة العينين يا أحلى من الحلوى

الله يهديك للعلم والنقوى

والمولى يرعاك يا بنتي يا سلوى

والدك

الدكتور عبد اللطيف البرغوثي

وعندها سعدت بها وفخرت بكلمات والدي واحتضنت آتبي بفخر واعتزاز، وتوجهت لوالدتي أقرأ لها ما آتب والدي وبقيت هكذا

عددا من الأيام، و بعد ذلك طلبت من والدي أن تكتب لي بدورها، فأخذت آتبي، وتوجهت إلى والدي، قائلة: "آتب لسلوى على

لساني"، وآتب والدي على لسان والدي: ١٩٧٥ المنامة / ١٠/٠٧

حبيبتي سلوى،

يا فلذة من آبدي حملتها في أحشائي ثم وضعتها وضممتها إلى صدري وغذيتها بدمي ورعيتها بعيوني حتى ترعرت وشبت فتاة

رائعة الخلق والجمال فسبحان الخالق الذي صور فأحسن التصوير. أملي يا سلوى أن تكلمي جمالك بجمال الخلق وجمال العلم حتى

أراك شابة من أجمل وأفضل الشابات.

والدتك خديجة البرغوثي

ومرت الأيام والكثير من الذآريات مرت معها، وأتذآر يوم عرسي عندما قام والدي ووالدتي بمساعدتي للتحضير لكثير من الأمور

والقيام بالكثير من الترتيبات المرتبطة باستكمال الاستعدادات للعرس، وأتذآر عند طلبي منه أن يرتدي يوم العرس البدلة البيضاء

التي يمتلكها وأن يقوم بتزيين سيارته من أجل أن يزفني بها إلى عريسي، فهز رأسه ولم يعطني إجابة واضحة وأبقى الغموض

يكتنف الموضوع، وفي صباح يوم العرس أوصلني إلى مصفف الشعر وترآني ووالدتي هناك، وعاد في الوقت المحدد لا

اصطحابنا، وعند خروجي فوجئت به وقد لبس البدلة البيضاء وزين السيارة أما طلبت منه فكم سعدت به وآم أنت ابتسامته جميلة

وآم تآلآت عيناه بلمعة دمعة فرح، وقد آن يدعمني ويسدي لي النصح بشكل دائم، حيث أنت أتوجه إليه عندما أتعرض لمشكلة

وخاصة المرتبطة بالتغيرات الناتجة عن الدخول إلى الحياة الزوجية فأحدثه بكل صراحة ويتابعني بإصغاء شديد، ومن ثم يأخذ



لحظة تفكير، ويبدأ بمناقشتي، بطريقة لذيذة حيث يسألني وينتظر إجابتي وبناء عليه يكون سؤاله التالي، وهكذا، فأجد نفسي وقد وصلت للقرار المناسب وبقناعة تامة وبناء على إجاباتي الشخصية.

وقد آن لي نصيب الأسد في إمضاء الكثير من الوقت مع والدي ووالدتي حيث سكنت أنا وزوجي معهم في البداية، ثم انتقلنا أنا وعائلتي لنسكن بالشقة أسفل الدرج في نفس العمارة التي آنوا يسكنونها، وقد آن مكسبي الكبير أن أتسب أولادي الكثير من المعرفة والحب والدلال والعطف من جدهم وجدتهم، وأذآر هنا آيف آن أبنائي وبالتتالي يرتبطون بعلاقة قوية مع جدهم وجدتهم، ذلك أن والدتي آنت تعنى بتوفير احتياجاتهم، وآنوا يتوجهون إليها في طلب العون والمساعدة، ومن الذآريات الجميلة لوآدي تلك الصورة التي آحتفظ بها في قلبي عندما آنت أسعد بأن يرزقني الله ولدا، فأجد والدي ووالدتي آأثر سعادة به مني ومن زوجي، فلن آنسى ما حبيت أبدأ، صورة آبي وهو يحتضن آحد أبنائي ويمسك زجاجة الحليب ويقوم بإعطائه الرضعة، وبعد ذلك أصبح يطلب مني أن أعد لهم بيضة مقلية مع زعتر وشاي وخبز أسمر ويناديهم قائلآ: "مين بدّه يفطر معي"، فيتسارعون إليه ويبدأ يطعمهم آل بدوره.

آن يقول لابنتي الكبرى: "آنت يا جدي عوضتيني عن مي، لأن يوم وفاتها ربنا وداك عشان اتخفي آحزاني"، وذلك آني آنت قد ولدتها في نفس اليوم الذي دفنت فيه جدي، وآآن ينادي إيني الأوسط ب "حببم" وهي آمة تحبب لحبيبي، أما الأصغر وقد حصل على آبر قسط من العلاقة مع والدي إذ لم يآت بعده صغار، فقد آن رفيق جده في آل الطلعات تقريبا، وآآن يذهب معه في آثير من زيارته لجمعية إنعاش الأسرة، أو إلى التسوق من آجل احتياجات المنزل، وقد آن والدي يستغل الأوقات التي ينقطع فيها التيار الكهربائي وعلى الأخص في أيام الشتآء، ويقوم بتسليتنا آبارا وصغارا بالحزازير التي آنت ولبدة للحظة، ومنها الحزازير عن أسماء الطيور، وعن الحيوانات وأسماء صغارها، وعن بعض جمل الإعراب، وآيضآ الكثير من الحزازير الفلكلورية، وآآن نستمتع معه بسهرات الأغاني الفلكلورية والدارجة أيضا، وآآن ننهض فنرقص ونغني ونستمع بالفرح بلمة العيلة الحلوة.

وأذآر فيما آذآر، اليوم الذي تم فيه الإعلان عن افتتاح جامعة القدس المفتوحة، فذهبت لوآدي وناقشت معه التحاقني بهذه الجامعة في العام التالي، وبعد أن ناقشني، وآجاب على الكثير من تساؤلاتي فيما يتعلق بهذه الجامعة، شجعني وحفزني على التسجيل



للحصول على درجة البكالوريوس، وقال لي جملة بقيت وستبقى الحافز لي للمتابعة مهما آنت الطريق صعبة والأرض وعرة: "إذا اختار الشخص البدء في طريق، وخاصة طريق طلب العلم يجب أن يعمل ويثابر على العمل من أجل أن يحقق أفضل ما يستطيع أن يحققه، وأن لا يترك المجال لأي عائق أن يمنعه من أن يستكمل طريقه هذا، فبالتصميم والإرادة تتحقق الأحلام الكبار"، وعملت بدعم منه أامل وعلى جميع الجوانب حتى حصلت على درجة البكالوريوس في نظم المعلومات الحاسوبية. ولم يطل بي الزمان بعد ذلك حتى عدت له وببيدي الجريدة التي تحمل إعلان جامعة القدس - أبو ديس، للدراسات العليا في إدارة الأعمال، وقال لي أما في المرة الأولى: "ديري بالك بتسجلي بضلي محافظة على تصميمك وإرادتك حتى تحصلي على الشهادة والدرجة العلمية، مهما آنت الصعوبات والمعوقات"، وطالت بي مدة الدراسة حتى حصلت على شهادتي ٢٠٠٥/ في نهاية الفصل الثاني من العام الدراسي ٢٠٠٤ ولن أنسى ما حبيت تلك الليلة من ٦ أيار ٢٠٠٢، حيث آنت ليلة صعبة اتضح فيها الفراق وبانت بوادر فوز الفريق الثاني (فريق الموت)، وبدأ والدي الحبيب يدخل في مراحل الغيبوبة نتيجة تطورات إصابته بجلطة دماغية، وآنت أحاول جاهدة ومن حولي باقي العائلة على إيقائه معنا واعيا على ما يدور من حوله لكن التعب والإرهاق بدأ يظهر جليا، وبعد جهد عاد وفتح عينيه وساعدته على النهوض والجلوس معنا في غرفة المعيشة، حيث جلست معنا أمي وخالتي وزوجي وابنتي وابني وبقيت أشده للبقاء معنا بأعاني الدلعونة وزريف الطول، وبالحديث عن المستقبل وضرورة أن نزرع شجرة تبقى ذآرى لمن يجلس في ظلها الوارفة، وهناك نهض ابني حتى يخلد إلى النوم واعتذر من جده وسلم عليه حيث أن لديه مدرسة في اليوم التالي، فقبله والدي وأشار له مودعا، وبعد وقت قصير نهضت ابنتي لتخلد إلى النوم أيضا، فناداها والدي مشيرا إليها أن تأتي إليه، فاقتربت منه وقبلها على وجنتيها ونظر إليها نظرة طالت لبعض الوقت، وودعها بإشارة من يده، وبعد مغادرة ابنتي لغرفة المعيشة ظهر على والدي التعب، فسألته هل تريد أن تعود إلى حجرتك، فأشار برأسه "نعم"، وعندما وصل السرير أطبق عينيه، وآنت ٢٠٠٢، حيث آن الوداع الأخير في إحدى حبرات /٠٥/ النهاية في صباح ذلك اليوم ٠٧ مستشفى رام الله الحكومي.